في ظلام الدرب

اذا الدربُ القى عليه المساء ... ظلال الشكوك وهمس الريب
وعشش في جانبيه السكون ... فنام الضجيج ونام الصخب
ولمت يد الله ثوب النهار ... فأجفل في خطوه المضطرب

*

ولم يبق الا صياح السقاة ... بقهى هنالك في المنحنى
ومسرجة ذاب فيها الحنين ... فأذهل إشراقها الواهنا
ولم يرها تحت كف الظلام ... يعابثها الموت الا .. انا

*

وفي شرفة شاغلتها الرياح ... فصرّت نوافذها في خجل
وقفت أدندن عبر المساء ... لابعد عنيَ روح الملل
فيوقظني من خلال السكون ... صغير بكى او كبير سعل

*

وطرقة باب عتيّ الصرير ... كصوت عجوز عتيّ الكلام
تثاءب عن شبه إنسانة ... تلقفها في يديه الظلام
فألقى عليها ظلال الخفاء ... وألقت الى قبضتيه الزمام

*

وراحت بكفّ عريق المران ... تلف ملاءتها العاريه
فتسدل في هذه الناحيه ... وتحسر عن هذه الناحيه
وتقبضها حولها مرة ... لتنشرها مرة ثانيه

*

وتلمس منديلها في دلال ... لتبرز فتنته الاسره
فيجلب إيماضه التائهين ... وتجثو لها الرغبة الثائره
ويحدو بها موكب الجائعين ... وترنو لها الاعين الحائره

*

وفي فمها « لادن » حائر ... يردد آهاته الضارعه
فتحنو عليه وتقسو عليه ... وتشمت في بسمة رائعه
تُراها تمثل ما يصنعون ... بها ؟ فهي في جسمه صانعه ؟

*

وسارت وفي عينها رغبة ... تُدل بها الخطوات الثقال
وفي الجسد اللدن انشودة ... على ضفتيها يذوب الخيال
عجبت لابليس كم أحسنت ... يداه وكم أبدعت من مثال

*

وفي جانب من زوايا الطريق ... تراءى لها الامل المشتهى
تعقبها آدمي الحنين ... فأثنى عليها وغنى لها
وشق الظلام صفيرٌ غويّ ... تبدّد مرتعشاً تائهاً

*

وزاحمها في خضم الفراغ ... وكان حديثٌ قصير قصير
تحسس في جيبه ما تبقّى ... من الليل. ذاك النهوم الكبير
وكانت مساومة حرة . ... ولكنْ كلا طرفيها اسير

*

وفي غمرة الانتصار الضئيل ... تلاقت عيونهما الجائعه
فضمت على سرها نفسها ... وضم على شوقه اضلعه
وراحا وكلٌ له غاية .. ... يحث اليها خطى مسرعه

*

وكان الذي كان من قصة ... هنالك في الحجرة المظلمه
هنالك في حلقات الدخان ... وفي عبق الشهوة الفاغمه
هنالك حيث السرير الجريح ... يئن عسى الأرض ان ترحمه

*

هنالك والزور صدق نبيل ... كأجمل ما رددته شفه
فكم من غرام بلا امنيات ... تجود به القبلة الزائفه
وكم آهة ذوبتها الشفاه ... وتنقصها الخفقة الراجفه

*

وكان وداعاً ذليل الخطى ... بغير دلال ولا كبرياء
وكان وداعاً بغير كلام ... بغير ابتسام بغير اشتهاء
فاين المساومة المدعاة ... واين الهوى، يا عبيد الاماء ؟

*

وعادت ملاءتها من جديد ... تلملم ما خلفته الوحوش
كأن اهتزازاتها المغريات ... تحدث: من اين لي أن أعيش ؟
وعادت الى الدرب في بطنها ... صراع. وفي راحتيها قروش

*

تلفتُّ يا للخطى الحائرات ... أأنت ؟ أأنت التي اعرف ؟
أأنت التي جئت من اجلها ... أرود الحياة وأستشرف ؟
أأنت إذن قصة البائسات ... يلذ بها القانص المترف ؟

*

وفي الدرب. في كل درب تراها ... إذا اقبل الليل قامت تسير
تسير الى غاية ... مثلما ... يسير على الارض خلق كثير
ألم ينم الكون من اجلها ... ليحدث في الليل.. شيء صغير ؟

القاهرة

محمد اسماعيل هاني